وقوله تعالى **الا من خطف** فيه وجهان احدهما انه مرفوع المحل بدلا من ضمير لا
يسمعون وهو احسن لانه غير موجب والثاني انه منصوب على اصل الاستثنا
والمعنى ان الشياطين لا يسمعون الملائكة الا من خطف وقوله تعالى **الخطفة**
مصدر معرف بال الجنسية او المعرفة ومعنى اخطف اختلس
الكلمة من كلام الملائكة مسارقة **فاتبعه** اي لحقه **شهاب** اي
كوكب **ثاقب** اي مضي قوي لا يخطئه يقتله او يحرقه او يثقبه او
يخبله تنبيه ههنا سؤالات اولها ان هذه الشهب التي يرمى بها
هل هي من الكواكب التي زين الله السما بها ام لا والاول باطل لانها
تبطل وتضمحل فلو كانت تلك الشهب تلك الكواكب الحقيقية
لوجب ان يظهر نقصان كبير في اعداد كواكب السما ولم يوجد ذلك
فان اعداد كواكب السما باقية لم تتغير البتة وايضا فجعلها رجوما
للشياطين مما يوجب وقوع النقصان في زينة الدنيا فكان الجمع بين هذين
المقصودين كالمتناقض وان كان هذه الشهب جنسا اخر غير الكواكب
المركوزة في الفلك فهو ايضا مشكل لانه تعالى قال في سورة الملك ولقد
زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فالضمير في
قوله وجعلناها عايد على المصابيح فوجب ان تكون تلك المصابيح هي الرجوم
باعيانها ثانيها كيف يجوز ان تذهب الشياطين حيث يعلمون ان الشهب
تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر هذا
الفعل من عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل
الدقيقة ثالثها دلت التواريخ المتواترة على ان حدوث الشهب كان
حاصلا قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال الحكما الذين
كانوا موجودين قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا
ذلك وتكلموا في سبب حدوثه واذا ثبت ان ذلك كان موجودا
قبل مجي النبي صلى الله عليه وسلم امتنع حمله على مجي النبي صلى الله عليه
وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكي عن قول ابليس لعنه الله
خلقتني من نار وقال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم
ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات واذا كان كذلك
فكيف يعقل احراق النار بالنار اجيب عن الاول بان هذه الشهب
غير تلك الكواكب الثابتة واما قوله تعالى واما قوله تعالى ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل نير
يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح
منها باقية على وجه الدهر امنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون
كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين

الجن يعلمون وبها يزول الاشكال وعن الثاني بان هذه الواقعة انما
تتفق في الندرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها بين الشياطين
واجاب ابو علي الجبائي بان حصول هذه الحالة ليس له موضع معين
والا لم يذهبوا اليه وانما يمنعون من المصير الى موضع الملائكة ومواضعها
مختلفة فربما صاروا الى موضع تصيبهم الشهب وربما صاروا الى
غيره ولا صادفوا الملائكة ولا تصيبهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات
وسلموا في بعض الاوقات جاز ان يصيروا الى مواضع تغلب على
ظنونهم انهم لا تصيبهم الشهب فيها كما يجوز فيمن سلك البحر ان
يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة وفي جواب ابي علي
نظر اذ ليس في السما موضع قدم الا وفيه ملك قايم او راكع او ساجد
وعن الثالث بان الاقرب ان هذه الحالة كانت موجودة قبل النبي
صلى الله عليه وسلم لكنها كثرت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
بسبب الكثرة معجزة وعن الرابع بان الشياطين ليسوا من نار خالصة
وعلى التنزل بانهم من النيران الخالصة الا انها نار ضعيفة ونيران
الشهب اقوى حالا منهم لاجرم صار الاقوى مبطلا للاضعف الا ترى ان
السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفي فكذلك ههنا
لما كان المقصود الاعظم من القران اثبات الاصول الاربعة وهي الالهيات
والمعاد والنبوة واثبات القضا والقدر افتتح الله هذه السورة باثبات
ما يدل على الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدانيته وهو خالق السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق والمغارب ثم فرع عليها اثبات الحشر
والنشر والقيامة وهو ان من قدر عليها على ما هو اشق واصعب وجب
ان يقدر على ما هو دونه وهو قوله تعالى **فاستفتهم** اي سل كفار مكة
ان يفتوك بان يبينوا لك ما شاء لهم عنه من انكارهم البعث
واصله من الفتوة وهو الكرم **اهم اشد** اي اقوى واشق واصعب
خلقا اي من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمها **ام من خلقنا**
اي من الملائكة والسموات والارض وما بينهما ورب المشارق والكواكب
والشهب الثواقب تنبيه في الاتيان بمن تغليب للعقلاء وهو استفهام
بمعنى التقرير اي هذه الاشيا اشد خلقا كقوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اانتم اشد خلقا ام السماء
بناها وقيل معنى ام من خلقنا اي من الامم الماضية لان من يذكر
لمن يعقل والمعنى ان هولاء ليسوا باحكم خلقا من غيرهم من الامم الخالية
وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يومن هولاء من العذاب **انا خلقناهم**
اي اصلهم ادم بعضمنا **من طين** اي تراب رخو بين **لازب**

Copyright King Saud University